انتصار الديمقراطية التركية: محاولة انقلاب 15 يوليو وتداعياتها

The Triumph of Turkish Democracy: The July 15 Coup Attempt and Its Aftermath

المؤلف: برهان الدين دوران، وفخرالدين ألطون
BURHANETTİN DURAN & FAHRETTİN ALTUN (EDS.)

عرض: نضال عطية - Reviewed by Nedal Ateyeh

يقع الكتاب الذي بين أيدينا في 177 صفحة من القطع المتوسط، والهدف الأساسي منه وفقًا لمحرري الكتاب الذي صدر عن مركز ستا للدراسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية- يكمن في التغلّب على التحيّز، وسوء الفهم المحتمل ضد تركيا، من خلال تحليل غير صحيح للأحداث التي وقعت في ليلة الانقلاب، والتطورات التي أعقبت ذلك.

شارك مجموعة من أبرز الباحثين الأتراك في تأليف هذا الكتاب الذي جاء في خمسة فصول. يتناول الفصل الأول تفاصيل أحداث ليلة الانقلاب وما بعدها، واختراق تنظيم غولن للقوات المسلحة التركية نحو أربعة عقود؛ للقيام بانقلاب عسكري، والإطاحة بالحكومة المنتخبة ديمقراطيًّا، وتعليق دستور الجمهورية التركية .

يذكر الكتاب في تفسير هزيمة الانقلاب خلال هذه الليلة أن محاولة انقلاب تنظيم غولن أخفقت بسبب العصيان المدني السلمي من المواطنين من جميع شرائح المجتمع، حيث أدرك الشعب التركي أن النظام الديمقراطي في بلادهم في خطر، وأدركوا أيضًا أن هذا كان اعتداء على حريتهم واستقلالهم، ومستقبل أبنائهم؛ ولهذا كانوا مستعدّين للتضحية بحياتهم. وأورد الكتاب أن عدد ضحايا الانقلاب بلغ 240 شخصًا، منهم 173 مدنيًّا، وعدد الجرحى بلغ 2195 مواطنًا من المدنيين. وركّز الفصل الأول كذلك على أحداث لم يسبق لها مثيل في التاريخ التركي الذي شهد العديد من الانقلابات العسكرية، وموجات الإرهاب، والاضطرابات المدنية، إذ قصف الانقلابيون البرلمان التركي، وكان واضحًا من الساعات الأولى من هذه المحاولة أن أعضاء تنظيم غولن كانوا على استعداد لارتكاب أيّ جريمة؛ من أجل تحقيق هدفهم، ومن هذا المنطلق اعتدوا بالأسلحة الثقيلة على القصر الرئاسي، ومقرّ الاستخبارات، ومقرّ الشرطة التركية، وحاولوا اغتيال الرئيس رجب طيب أردوغان.

وقد أكّد الكتاب عدة نقاط، منها أن الانقلابيين لم يحظوا بأي شرعية سياسية في محاولتهم للانقلاب على رئيس انتخبه الشعب بنسبة 52٪، وحكومة حصلت على 49.5٪ من أصوات الناخبين بطريقة ديمقراطية، وأظهر الباحثون في هذا الفصل كذلك أن ما حدث يُعدّ نقطة فاصلة تؤسس لعقد اجتماعي جديد في تركيا، وفي العلاقة بين الجيش والسياسة، كما لم يغفل الفصل الأول الحديث عن وحدة الشعب التركي بأطيافه كافة، سواء أكانوا متدينين أم علمانيين أم أطيافًا حزبية وفكرية أخرى- ضد المحاولة الانقلابية.

بينما تناول الفصل الثاني تنظيم فتح الله غولن، وظهوره، وتحوله من حركة خدمة إلى منظمة إرهابية، والعقلية التي يفكّر بها التنظيم، والمستقبل المحتمل للتنظيم الذي خسر شرعيته. وأشار الكتاب إلى أن التنظيم الذي أسّس بنيته في حوالي 140 بلدًا سوف ينسحب من تركيا إلى أبعد مدى، وسيحاول التنظيم العمل ضدّ تركيا من دول الشتات. وتناول هذا الفصل أيضًا البعد القانوني للتعامل مع تنظيم غولن، وأن الأمر غير متروك للتعامل الشخصي والمبادرات الشخصية، بل يكون وفق ضوابط قانونية تحافظ على الحقوق وضمن الأطر القانونية الشرعية.

أما الفصل الثالث فقد تناول تصدّي الشعب التركي للمحاولة الانقلابية، وضربَه أمثلة عظيمة غير مسبوقة، مثل مواجهة المدنيين الدبابات، والاستلقاء في طريقها لمنعها من التقدّم، وتناول كذلك بمزيد من التفصيل كيف بدأ الناس يكتبون على موقع غوغل الشهير هذا السؤال: (كيف يمكن إيقاف الدبابة؟). وقد توصّل هذا الفصل إلى أن المقاومة الشعبية أثبتت فعاليتها، وأن المقاومة غير العنيفة يمكن أن تحقّق نجاحات كبيرة، فيما طالب الكتاب في أحد أقسامه أن يحصل الشعب التركي على جائزة نوبل.

أما الفصل الرابع من الكتاب فقد تناول انعكاسات محاولة الانقلاب في تركيا على العلاقات مع مجموعة من الدول، مثل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وتعامل وسائل الإعلام الغربية مع محاولة الانقلاب.

وركز هذا الفصل على أن ردّ الفعل الضعيف، وبيانات الحلفاء، مثل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوربي وحلف شمال الأطلسي والعديد من الدول الأوروبية- كانت صدمة كبيرة للشعب التركي، وجاءت الصدمة أكبر عندما بدأ سياسيون غربيون، وعدة وسائل إعلام، ومراكز بحوث غربية بحملة تشويه ضد المواطنين والسياسيين الأتراك الذين هزموا بشجاعة محاولة الانقلاب الدموية ضدّ الدولة التركية.

وأشار الباحث جان أغون في مشاركته إلى أن نجاح الشعب التركي في مقاومة الانقلاب مثّل نموذجًا للشعوب الأخرى، وأعطى إشارات بإمكانية نجاحها هي الأخرى في مواجهة الانقلابات بعد وصولها إلى مراحل صعبة. ورأى الكتاب أن الغرب خسر علاقته مع الشعب التركي؛ بسبب موقفه السلبي من أحداث الانقلاب في تركيا، إضافة إلى موقفه المحتضن لحزب العمال الكردستاني الذي يُعَدّ حزبًا ارهابيًّا في تركيا.

أما ما يخص العلاقة بين الولايات المتحدة وتركيا فقد أشار الكتاب إلى أن بعدًا جديدًا قد أضيف إلى معادلة العلاقة بينهما، وأن ردّ واشنطن على التحقيقات المطلوبة مع بعض المتّهمين سوف تنبني عليها إعادة تعريف العلاقة بين تركيا والولايات المتحدة، ولاسيّما في موضوع التحالف، إضافة إلى أن الثقة قد تراجعت بنسبة كبيرة.

فيما ركز الفصل الخامس الأخير من الكتاب على ما بعد الانقلاب، وتحديدًا ما بعد مهرجان الديمقراطية الذي تجمّع فيه ملايين الأتراك في ساحة يني كابي في إسطنبول، مناقشًا المسار السياسي الجديد للبلاد بعد الانقلاب، وواضعًا آليات للتعامل مع تنظيم فتح الله غولن على المديين القصير والبعيد، وقد أشاد الكتاب بمواقف الأحزاب التركية، وبخاصة حزب الحركة القومية وحزب الشعب الجمهوري في مواقفهما ضد الانقلاب، كما أشار إلى أهمية إعادة بناء المؤسسات في تركيا بطريقة تستعصي على تغلغل المنظّمات الإرهابية.

استطاع الكتاب بشكل شامل أن يغطّي معظم القضايا الداخلية والخارجية المتعلّقة بالمحاولة الانقلابية بشكل مختصر؛ ليقدّم للقارئ مادة موجزة تستطيع أن

تستبعد الافتراءات والتحليلات غير الصحيحة وفق وجهة نظر محللي الكتاب، إلا أن الكتاب بحاجة إلى تحديث، وبخاصة ما يتعلق بالتعاطي الدولي مع تبعات الانقلاب، إذ ركّز الكتاب على المشهد الداخلي أكثر من الخارجي، كما لم يتناول انعكاسات ذلك على الوضع الإقليمي، ولعل هذا مسوَّغ بسبب الفترة القريبة بين المحاولة الانقلابية وصدور الكتاب... كما تجدر الإشارة إلى أن نشر الكتاب باللغة الإنكليزية كان أمرًا جيدًا، ولعله أول كتاب عن المحاولة الانقلابية بهذه اللغة في تركيا.